

ثقافة ما بعد الواجب وتغير مفهوم الإنسان.

## Post-duty culture and changing the concept of man

بن التومي مسعودة<sup>1</sup>

<sup>1</sup> جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2- (الجزائر) ، مخبر المجتمع الجزائري

المعاصر. bentoumimessaouda34@gmail.com.

تاريخ الاستلام: 2021/12/20 تاريخ القبول: 2021/12/23 تاريخ النشر: 2022/01/23

ملخص:

يعد عصر ما بعد الواجب عصراً ثائراً ضد كل القيم الأخلاقية المتعالية التي لطالما حكمت المجتمعات البشرية وكان السبب في ذلك هو الشقاء والبؤس البشري اللذين أورثهما الواجب الأخلاقي المتعال، الذي يفرض في إنكار الذات الإنسانية جاعلاً منها عبداً للقيم العليا متجاوزاً رغباتها وحاجاتها ، وقد أفرز هذا العصر نمطاً أخلاقياً جديداً يسعى إلى تحقيق سعادة الإنسان ، حيث تكون الذات البشرية هي المشرع للواجب الأخلاقي ومعياراً له ، وقد ساهم هذا النمط الأخلاقي في تغيير مفهوم الإنسان تغييراً جذرياً ، وقد أفرز نموذجاً إنسانياً غربياً ، إنه إنسان ما بعد الواجب الذي فقد قدسيته وبات مجرد نموذج استهلاكي يسعى فقط لتلبية حاجاته بغرض تحقيق القبول في المجتمع الاستهلاكي، وإلا انتهت صلاحيته ورمي به إلى سلة المهملات ، إنه أسوأ نموذج بشري عرفته الحضارة الإنسانية فهو يرسم صورة الإنسان الخائف من كل شيء ، إنسان بانئس يشعر دائماً بأنه في خطر .

كلمات مفتاحية: ثقافة ما بعد الواجب ، ثقافة السعادة ، المجتمع الاستهلاكي ،

إنسان ما بعد الواجب ، الإنسان الخائف

**Abstract:**

The post-duty era is a revolutionary era against all the transcendent moral values that have always ruled human societies, and this was caused by misery and human misery inherited by the transcendent moral duty, which over-denys the human self, making it a slave to higher values beyond their desires and needs, and this era has produced a new moral pattern that seeks to achieve human happiness where the human self is the legislator of moral duty and its standard, and this moral pattern has contributed to changing the concept of man. Radically he has produced a strange human model, he is a post-duty human being who has lost his sanctity and has become just a consumer model that seeks only to meet his needs, in order to achieve acceptance in consumer society or it expires and throws him into the trash, it is the worst human model known by human civilization as it paints the image of a man who is afraid of everything, a miserable human being who always feels in danger.

**Keywords:** s: post-duty culture, culture of happiness, consumer society, post-duty man, frightened man.

---

المؤلف المرسل: بن التومي مسعودة.

1. مقدمة:

لقد أولت الأبحاث والدراسات الإنسانية أهمية بالغة لدراسة كل ما له صلة بالإنسان وحياته، ولكل ما يتعلق به من قريب أو بعيد ، وذلك لأن الإنسان يعد أساس الوجود وجوهره ، ولعل أهم المواضيع الشائكة التي تتعلق بالإنسان والتي كان لا بدّ من البحث فيها هو الجانب الأخلاقي ، هذا الأخير الذي لقي اهتماما واسعا منذ القدم وإلى اليوم ، ذلك لأن الأخلاق تعد الركيزة الأساسية التي من

خلالها فقط تنتظم حياة الإنسان وعلاقاته ، فالقيم الأخلاقية هي تلك القواعد التي تحدد للإنسان مجموع الواجبات الأخلاقية التي لابد له من أدائها، والواجب الأخلاقي هو ذلك الإلزام الذي تنضبط من خلاله سلوكيات الإنسان، وهو مفهوم مركزي طرح في كل الفلسفات القديمة والحديثة والمعاصرة ، غير أننا نجده بارزا بصورة واضحة مع كائط فيما يعرف بالواجب لذاته ، والذي ينبع عن إرادة الإنسان الحرة لتنتصر الإرادة على الطبيعة ، ويؤسس لنا واجبا أخلاقيا متعاليا يسمو بالإنسان غير أن هذا الواجب لم يعرف الثبات ، بل نجد هناك دعوات كثيرة تصر على هدم أسسه والإعلان عن أفوله ، والإقرار بانبعث عصر أخلاقي جديد يخدم الإنسان ويحقق سعادته ، وهو ما يعرف بعصر ما بعد الواجب ، هذا الأخير الذي يعد عصرا جديدا جاء يحمل في طياته عالما مختلفا ومفهوما جديدا للإنسان، ذلك لأن كل عصر يفرض على الإنسان تغييرا جذريا يفرز نموذجا إنسانيا متفردا يرتبط ارتباطا عميقا بالقيم السائدة لكل عصر وثقافة .

فما المقصود بثقافة ما بعد الواجب ؟ وكيف ساهمت في تغيير مفهوم

الإنسان؟ وما هو النموذج الإنساني الجديد الذي أفرزته؟

## 2. ثقافة ما بعد الواجب: المفهوم والأصول الفلسفية :

إن تتبع تاريخ القيم الأخلاقية يبين أنها وجدت مع الإنسان ومنذ القدم ، فالأخلاق هي مجموعة المبادئ التي تنظم حياة الإنسان وتنضبط علاقاته مع الآخرين ، ولا يمكن أن تنتظم من غير هذه الأسس التي تحكمها لذلك نجد أن المجتمعات وعلى مر العصور قد أولت أهمية بالغة للقيم الأخلاقية ، فهذه المبادئ لم تعرف الثبات ، فهي متغيرة من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى عصر ، وهنا يمكن القول إن لكل عصر قيمه وأخلاقه الخاصة ، وأي تغيير يمس القيم الأخلاقية سينجر عليه مجموعة تغييرات تمس حياة الإنسان ككل وهذا ليس شيئا غريبا ، بل الغريب هو أن تصل البشرية إلى عصر يبشر بأفول القيم

الأخلاقية ، والإعلان عن ميلاد عصر جديد هو عصر وثقافة ما بعد الأخلاق أو عصر ما بعد الواجب فما المقصود بهذا العصر؟ وما التغييرات التي أحدثتها في حياة الإنسان؟

إن ثقافة ما بعد الواجب هي عصر تغيرت فيه كل مبادئ حياة الإنسان المعاصر ، ففي العصر الذي أعلن فيه عن هدم القيم وكل ثوابت العيش القديمة ، في دعوة إلى التغيير المستمر ، إنها عصر ما بعد الواجب الذي يحمل مفهوما جديدا وصادما ، فهو عصر غريب شهدته الحضارة الإنسانية إذ جاء في صيغة جريئة وغير متوقعة ، معلنا عن تجاوز الواجب ومباشرا بانهيار القيم الأخلاقية التي كانت تحكم المجتمعات البشرية القديمة والحديثة ، فقولنا عصر ما بعد الواجب فيه إشارة إلى الربط بين الواجب الأخلاقي ونهايته الجذرية والإعلان عن أفوله ، وهنا نجد جاكين روس في كتابها الفكر الأخلاقي المعاصر تبين كيف أن جيل ليبوفتسكي في كتابه "أقول الواجب" يتحدث عن انهيار القيم الأخلاقية العليا ، التي كانت تنظم المجتمع الحدائي حيث أشار إلى منطق ما بعد الأخلاقية وهو منطقنا ، فمجتمعاتنا الديمقراطية تعد داخلة في ثقافة ما بعد الواجب (روس ج.، 2001، صفحة 104) ، وكأن جيل ليبوفتسكي حسب جاكين روس يلعن رسميا عن ميلاد عصر ما بعد الواجب ، ذلك بعد كل الدلالات التي تؤكد عن انهيار الأفق القيمي للمجتمع الحدائي ، الذي كان يمثل العصر الذهبي للتبويب الأخلاقي ، فبعد أن نجحت الحداثة في تجسيد وتأسيس الواجب الأخلاقي بعيدا عن الدين والقوى الغيبية التي سيطرت في العصور الوسطى ، مع تقديم وعود السعادة والحرية للإنسان ، هاهي في الوقت نفسه تضيق الخناق عليه من خلال فكرة الواجب الأخلاقي نفسه ، ذلك لأن "إقامة أخلاق علمانية مؤسسة للنظام الاجتماعي وأجنبية عن كل دين سماوي مددت بعده المقدس: لقد حل محل الواجب الديني القديم دين مغال حديث هو دين يجب أن تفعل " ، (ليبوفتسكي ج.، 2017،

صفحة 29) حيث أبعدت الحداثة كل مظاهر الواجب القديم الذي يؤمن بأنه لا وجود للفضيلة بعيدا عن الإله والوحي ، لتؤسس ديننا جديدا هو دين الواجب ، هذا الدين الذي كان هو الآخر متعاليا ومرهقا للإنسان ، وذلك لأن الواجب الأخلاقي الذي تبلورت معالمه مع الحداثة كان يقوم على ركيزة أساسية هي نكران الذات ، وقد كان ضد مصالحها الشخصية وذلك من أجل الواجب لذاته و يظهر ذلك بوضوح مع كانط وروسو وكونت فقد منح روسو القدوة لمن بعده حين جعل الفضيلة في صورة مهيبة والتي تعرف بأنها صراع ضد الالغبات، وهاهو كانط يرفع إلى القمة مجد الواجب اللامشروط أو ما يعرف بالواجب لأجل ذاته ، في حين لم يعترف كونت بأي حق سوى حق فعل الإنسان لواجبه على الدوام والشيء الأخلاقي الوحيد هو واجب العيش من أجل الآخر، فقد عرفت الفضيلة بأنها علم الواجب المحتم والفضيلة بأنها النكران التام للذات (لبيوفتسكي ج ، 2017، صفحة 30) وفي هذا شيء من الإلزام الذي يعد ثقلا على كاهل الإنسان ، وذلك لأن الواجب بالمفهوم الحدائي يلغي جانبا من ذات الإنسان ويجعله في صراع مع نفسه ورغباته ، لأجل أن يخضع للواجب ، وهذا ما يلغي وعد الحرية وتحقيق السعادة التي جاء المجتمع الحدائي مبشرا بهما ، كما أن جعل الواجب متعاليا ورفيعا لأجل ذاته يجعل الإنسان المعاصر مجبرا وملزما على أدائه مبالغا في نكران ذاته ، وهذا ما أدى وبشكل واضح إلى دمار الذات الإنسانية ، فبدل أن نحصل على النموذج الإنساني الكامل أو الإنسان السعيد نجد أن الواجب الأخلاقي المتعالى قد أنتج لنا إنسانا كثيبا وحزينا .

فمجتمع الحداثة يمارس عنفا رهيبا وغير واضح ضد الإنسان من خلال إلزامه بالتنكر لذاته مدمرا بذلك كيانه لغرض القضاء على الشر وإحلال القيم الأخلاقية ولو على حساب الفرد ، فالحداثة الأخلاقية هي ما يتطلب النكران التام للذات والتضحية الكاملة والخضوع و إلزام الخير دون شروط ولا مراعاة للمصلحة

الشخصية (ليبوفتسكي ج.، 2017، صفحة 39) ولعل هذا النكران للذات كان الأصل الأول لانبعاث عصر ما بعد الواجب ، هذا العصر الذي تشكلت ملامحه مع ماكيافيلي فقد أرجعت الكرامة للتصرفات الأنانية وبدأت دائرة المثل العليا تتلاشى من شترنر إلى فرويد وصولا إلى نيتشه ، فقد باتت الأخلاق معهم تعبيرا عن وعي زائف يخفي المصالح والرغبات الفردية ( ليبوفتسكي ج 2017، صفحة 32) ، وكان هذا السبب المباشر لتمرد الإنسان على الواجب المتعالي وتأسيس طريق العودة إلى الذات من خلال جعل هذه الأخيرة معيارا جديدا للقيم ، بل واعتبارها قيمة لكل القيم لأجل بلوغ سعادة الذات وحريتها ، فقد "انتقلنا خلال بضعة عقود من حضارة الواجب إلى ثقافة السعادة الذاتية ، إن ثقافة حب الذات هي التي تحكمنا بدل النظام القديم للقمع " (ليبوفتسكي ج.، 2017، صفحة 55،56) والأساس الذي تنطلق منه الذات هنا هو حبها لنفسها وسعيها لتحقيق المتعة التي تجلب السعادة بدورها إلى الإنسان ، فعصر ما بعد الواجب هو عصر تجاوزت فيه الذات البشرية الواجب الإلزامي بمفهومه القديم ، إنها عصر الحريات الديمقراطية عصر النرجسية وثقافة السعادة الفردانية ، وهي كما يرى زيجمونت باومان عصر سيولة الأخلاق وطغيان حرية الاختيار .

وانهيار الواجب بمفهومه التقليدي هو إشارة لانبعاث واجب جديد يتناسب وعصر ما بعد الأخلاق الذي نشهد فيه صعود مفهوم جديد يحكم كل شيء وهو مفهوم الزوال "فالعدمية التي أفرزها عصر ما بعد الأخلاق هي عدمية الزوال زوال كل شيء وسرعة تغيره ، انه الشكل العشوائي واللامبالي ، إنه النفي الأسطوري لكل شيء ... إنه الزوال وحسب " (بودريار ج.، 2008، صفحة 241) وبهذا الشكل يقوم مفهوم الزوال بتكسير الأنساق الأخلاقية الكبرى وتخطي فكرة الإلزام ، معلنا ميلاد نسق أخلاقي مغاير يقول عنه جيل ليبوفتسكي : "نعني بالمجتمع

ما بعد التخليقي (post-moraliste) العصر الذي يتم فيه تخفيف الواجب وإضعافه ونزع الشرعية اجتماعيا عن فكرة التضحية بالذات ، ولا تتطلب الأخلاق تكريس النفس لغاية عليا متجاوزة للذات " (ليبوفتسكي ج.، 2017، صفحة 54،55) ، فبعد أن أنهك الواجب المتعالي الذات البشرية من خلال فرض قيم التضحية بالذات ، هاهو الإنسان ينتقل من عصر الواجب لذاته وعصر "ينبغي أن أفعل" لأجل شيء ما ، سواء لأجل الواجب لذاته أو لأجل المجتمع أو الدين ، إلى الإقرار بتراجع هذا الواجب المتعالي لصالح الواجب تجاه الذات و فقط ، فقد كان الواجب "يأمر بخضوع الرغبة اللامشروطة للقانون ، فصالحنا بينه وبين المتعة والاهتمام بالذات لقد تخلى "يجب أن" عن منزلته لصالح السعادة " (ليبوفتسكي ج.، 2017، صفحة 53)

وهذا النوع من الواجب يقدر الإنسان قبل أي شيء آخر ، لا إلزام فيه يقوم على اختيار حر وانتقاء يتفق ومصالحة الذات وتحقيق سعادتها وجعلها المعيار الأول والأخير لكل قيمة . والسؤال المطروح هنا على أي أساس تحكم الذات على الفعل الصالح من غيره؟

وهنا نجد أن الذات تجعل الأساس الذي تختار به قيمها هو المتعة ، وهذا ما يعطي المتعة مكانتها القيمة في ثقافة ما بعد الواجب ، وربط الواجب بالمتعة يجعله متغيرا في كل لحظة قابلا للاستبدال والزوال ، وهذا ما يسميه زيجمونت باومان بالسيولة ، فما أنتجته ثقافة ما بعد الواجب هو "مجتمع حديث سائل وهو مجتمع تتغير فيه الظروف التي يعيشها أعضاؤه بسرعة لا تسمح باستقرار الأفعال" (باومان ز.، 2016، صفحة 21) فالعصر الذي نعيشه لا يعرف الثبات ، إنه يسارع الزمن ليحدث التغيير على كل شيء وفي كل لحظة وبما أن كل شيء قابل للتغيير ، فإن الأخلاق وأفعال الإنسان هي الأخرى عرضة لكل هذا التغيير وهذا التسارع في زوال قيمة وصعود الأخرى ناتج عن الرغبة في تحقيق حرية

الاختيار والسعادة "فما يميز أبناء المجتمع السائل هو دخولهم في حالة صراع متواصل مع ذواتهم لتحقيق أقصى درجات سعادتهم الفردية ، دونما كبير اهتمام بواقع مجتمعاتهم وشروطها القيمية ( شرف الدين، 2018، صفحة 26) هذا ما نسميه بعصر ثقافة السعادة ، التي أنتجها عصر ما بعد الواجب ، والتي كان من مظاهرها سيولة الواجب الأخلاقي وانبعاث الحرية الذاتية الاختيار الحر القائم على تحقيق رغبات الفرد وسعادته ، وجعل الذات الباحثة عن المتع مركزا لكل شيء ، ضد كل القيم التي كانت سائدة . وكما سبق وأن بينا فإن أي تغيير يمس الواجب والقيم الأخلاقية ، يحدث تغييرا جذريا في حياة الإنسان ، وحتى أن مفهوم الإنسان ذاته يتغير ، وهذا ما يستلزم أن التغيير الجذري الذي لحق بالواجب الأخلاقي قد أعطى مفهوما جديدا للإنسان ، فما هو النموذج الإنساني الذي أفرزه عصر ما بعد الواجب ؟

### 3. النموذج الإنساني الذي أفرزه عصر ما بعد الواجب.

قبل أن نتطرق إلى النموذج الإنساني الذي جاء به عصر ما بعد الواجب ، لا بد لنا من الإشارة إلى المفهوم الفلسفي للإنسان ، وأهم المحطات التي مر بها والتحويلات التي طرأت عليه ، خاصة فيما يتعلق بدور القيم الأخلاقية ، وأثرها في تحديد نموذج إنساني جديد يميز كل عصر، فبعد أن كانت الفلسفة أول الأمر تهتم بالماورائيات وتسعى جاهدة إلى تفسير ظواهر الطبيعة ، جاءت بعض الفلاسفات اليونانية لتنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ، فبعد أن كانت تهتم بتفسير الغيبيات وظواهر ما وراء الطبيعة تم توجيهها لدراسة الإنسان فيها هو بروتاغوراس يقر بأن الإنسان مقياس الأشياء كلها ، كما أن سقراط يقول " اعرف نفسك بنفسك " وهنا بدأ الاهتمام بالإنسان والتركيز على تحقيق المعرفة حوله إلى أن جاء أرسطو ليقدم مفهوم الإنسان بكونه حيوانا عاقلا ، وبكونه حيوانا عاقلا فهو سياسي في الوقت نفسه إذ يحدد الإنسان نفسه كفرد سياسي

(روس ج.، مغامرة الفكر الاوربي، 2001، صفحة 365) وهنا كان المفهوم الأول للإنسان بكونه حيوانا عاقلا سياسيا لأن القيمة الأولى التي كانت تحكم الإنسان هي القيم السياسية والقول إن القيم السياسية هي التي تحكم حياة الانسان في ذلك العصر راجع إلى سعي تلك العصور إلى محاولة تأسيس مجتمع سليم قائم على النظام والعدل وهذا ما أوجب سن مجموع المبادئ والقواعد التي تضمن ذلك وبهذا يمكن القول إن الحاجة إلى القيم في ذلك العصر كانت سياسية ، أما في العصور الوسطى فقد أخذ مفهوم الإنسان طابعه الديني ، وأنه خليفة الله في الأرض وهو ذو مكانة مرموقة ، وفي هذا العصر كانت القيم الأخلاقية مستمدة من الدين ، وهي متعالية وصارمة وهذا راجع إلى محاولة تأسيس عقيدة سليمة للإنسان ، لذا كانت القيم الدينية هي التي اتحكم مفهوم الإنسان ، باعتباره مخلوقا يجب عليه طاعة الله وهذا كان هدفه الأساسي في الحياة ، وكان يلتزم بالأوامر الإلهية التي تعد هي القيم العليا في ذلك العصر لأنه يخاف العقاب ويسعى إلى تحقيق الثواب ، وهكذا إلى أن جاءت العصور الحديثة نائرة ضد ما يفرضه الدين من قيود على الفكر البشري ، إذ جعل هذا العصر الإنسان محور اهتمامه وجاء ليفرض حرية الإنسان ويجعله مركز الكون بعيدا عن كل القيود الدينية فقد " أصبح الإنسان في العصور الحديثة ذاتا مفكرة وواعية فقد ارتقى إلى مرتبة السيد المهيمن الذي يخضع العالم " (ادغار موران، 2009، صفحة 57) وهنا أعطى العصر الحديث تحديدا ومفهومها جديدا ومميزا للإنسان بكونه ذاتا عاقلة يمكن أن يفهم نفسه ، والقول إن الإنسان كائن عاقل مفكر يعني أننا نضفي صفة اليقين وصفة الكمال والتعالي على الإنسان ، ومنه فإن مبادئه الأخلاقية كذلك لا بد أن تكون عقلانية ومتعالية ويقينية ، وهذا ما يجعل الإنسان سيد الكون وكل شيء فيه لا بد من أن يكون خاضعا له ، لأنه من خلال التفكير سيصل لكل ما يريده فهو حر وتفكيره حر من أي قيد كذلك ، وهنا كان للعقل والتفكير

المركز الأول ، فلا شيء يعلو فوق العقل ، حيث حصل الإنسان على مفهوم الكائن العاقل الذي يمكنه من خلال التفكير والتأمل في الوجود أن يخل كل مشكلاته من جهة ، ومن جهة أخرى قادر على تأسيس مبادئ وقواعد سليمة تحكم المجتمع البشري ، رافضا بذلك القيم الدينية ومستبدلا إياها بقيم العقل اليقينية .

أما مع كانط فقد أخذ مفهوم الإنسان طابعا أخلاقيا بحثا فالإنسان حسبه كائن أخلاقي فقد حدد مفهوم الإنسان مع كانط وفق وجهة جديدة ، إنها وجهة تنبثق من داخل الإنسان ذاته ، من إرادته ، من ضميره ، إنه كائن أخلاقي من تصميم الإرادة ، التي نصبت نفسها سلطة عالمية ، كونية شاملة لجميع المخلوقات العاقلة ، فرغم تعدد الثقافات و الأيديولوجيات ، و أنساق القيم و تنوعها ، جعل كانط من الواجب الأخلاقي سيدا يقدم التوجيهات الكونية لمعني الخير و السعادة ، أين تتلاشى أمامه جميع هذه الفروقات ، لا لشيء سوى لأن العقل وحده ميزة إنسانية ، أما الإرادة فهي وحدها القادرة على أن ترتقي بمستوى الإنسان إلى الإنسانية الحققة ، العادلة ، المعتدلة و المتزنة وهنا يقول كانط " ينبغي علي دائما أن أسلم السلوك الذي يمكنني من أن أريد أن تصبح مسلمتي قانونا كليا عاما" (كانط، 2020، صفحة 55) وهنا يؤسس كانط واجبا مطلقا مثاليا يرى فيه أن الإنسان لابد له من أن يقوم بالفعل الأخلاقي من صميم شعوه بأنه واجب عليه فعله وهنا يكون الواجب ركيزة أساسية في فلسفة كانط الأخلاقية الذي يسي دعائمها من خلال فكرة الإلزام الذي يتضمنه الواجب الأخلاقي الصادر عن قانون يحمل ضرورة مطلقة لابد أن يلتزم بها كل البشر وهذا الإلزام تمارسه الذات قصد الخضوع لهذا الواجب المطلق أو ما

يمكن أن نسميه الواجب لأجل الواجب ، ومنه فقد كان تعريف كانط للإنسان بكونه كائنا أخلاقيا مثاليا مفهوما مجهدا للإنسان ، وقد ألغى في حضرته كل حاجات الإنسان ورغباته وهفواته ، لذا كان لنييتشه وفرويد رأي آخر ، فقد

رفض فرويد كل التجريدات القديمة عن مفهوم الإنسان ، حيث وضع الصورة الحديثة للإنسان الذي يسيء فهم نفسه ، والذي تحركه حوافز لا شعورية (روس ج.، مغامرة الفكر الاوربي، 2001، صفحة 365) وهنا يضرب فرويد في العمق "الأنا أفكار" التي قال بها ديكرت والتي جعلها مفهوم الإنسان الواعي المفكر وهنا يغيب اليقين والوعي ويدخل مرحلة الشك واللاوعي ، فالإنسان وفق لقانون اللاشعور الذي يفرض نفسه يفقد السيطرة على ذاته ، وهنا يفقد الإرادة وحرية التفكير القدرة والصلاحية على اتخاذ كل القرارات .

وها هو نيتشه يحاول نزع الهالات الأسطورية عن صورة الإنسان ، كما رسمتها قرون عديدة ، تلك الأساطير الفلسفية التي ساهمت في تثبيت أفكار إنكار الذات باسم قيم عليا مزعومة (ادغارموران، 2009، صفحة 35) وهنا يرفض نيتشه التصور المثالي للإنسان ، هذا التصور الذي يجعل الإنسان مجرد نكرة تابعة لقيم عليا ، حطمت الإنسان وغرائزه وهنا يقف نيتشه ضد الواجب الأخلاقي بالمفهوم الكانطي ، الذي يجعل الإنسان ضعيفا وخائفا ، ولذا يجب الإعلان عن أقولها وهذا ما جاء عصر ما بعد الواجب مبشرا به مفرزا صيغا إنسانية ونموذجا إنسانيا جديدا ، وهو إنسان ما بعد الواجب الذي يظهر في صور عديدة وأشكال مختلفة وفقا لما تمليه عليه ذاته فهو معيار أخلاقه أساسها الأول والأخير فماذا نقصد بإنسان ما بعد الواجب ؟ وما الأسس التي تحكمه ؟

لقد شهد العالم المعاصر أو ما يعرف بعصر ما بعد الأخلاق ظهور صيغ جديدة لمفهوم الإنسان ، فبعد أن فقد الإنسان مرجعيته الدينية والأخلاقية الصارمة ، بات هو المشرع لقيمه هذه القيم التي تهدف فقط إلى تحقيق المتعة وإرضاء الغريزة ، حيث نجده لا يهتم إلا بالجانب المادي ، وهذا ما يفرضه المجتمع الاستهلاكي الذي وجد الإنسان المعاصر نفسه فيه ، ويمكن أن نعرف إنسان ما بعد الواجب بأنه إنسان استهلاكي ، إنسان المتعيا أو الشهوانية ، هذا الإنسان

الذي يرى أنه رد الاعتبار للذات الفردية وجعلها معيارا الواجب ، وأن أعظم انجاز له هو التحرر من سلطة الواجب التقليدي ، الذي ينكر الذات البشرية ويجعلها عبدا له، وهو بذلك يحقق سعادته ورفاهيته ،إنه نموذج "أخلاق السعادة الفردانية " ، وما تنطوي عليه من قيم الاستهلاك "فحضارة الرفاهية الاستهلاكية هي التي أدت إلى دمار إيديولوجيا الواجب المجيدة ، فخلال النصف الثاني من القرن أذاب منطق الاستهلاك الجماهيري المواعظ التخليقية وقضى على الالتزامات المتشددة وأنجب ثقافة تتغلب فيها السعادة على الأوامر الأخلاقية " (ليبوفتسكي ج.، 2017، صفحة 57)وهنا يظهر بوضوح كيف أن عصر ما بعد الواجب قد أنتج مجتمعا استهلاكيًا ، يلعب على وتر توفير الحاجات للإنسان من أجل شباع رغبته لبلوغ سعادته ، غير أننا نجد أن واقع المجتمع الاستهلاكي يقوم على مبدأ وهمية الشعور بالإشباع ، فشعار ثقافة الاستهلاك هو إرضاء المستهلك ، وفي نفس الوقت خلق حاجات زائفة متغيرة ومتجددة ، وهذا لأجل السيطرة على الإنسان الاستهلاكي ، الذي يشعر دائما بأنه بحاجة أكبر لتلبية حاجاته ، وبهذا يصبح الاستهلاك قيمة القيم ، والحاكم الأول لكل حياة الإنسان إذ "يوسع المجتمع الاستهلاكي استدامة عدم الإشباع ، من خلال الحط من قيمة السلع الاستهلاكية بعد فترة من ترويجها في عالم رغبات الاستهلاك " (باومان ز.، 2016، صفحة 113) وذلك لضمان التجديد والإحاطة بكل جوانب الحياة ، فالإنسان من خلال هذا النمط المعيشي بات يسابق الزمن لأجل أن يلقي القبول والاستمرارية في المجتمع الاستهلاكي ، وذلك باستهلاك أكبر قدم ممكن من السلع ، ولا بد له من أن يتمسك هذا المجتمع والإلحاح بالإنقاذ والنبد ، ورمي به إلى سلة المهملات.

وبالرغم من حجم الإحباط الذي يسببه النمط الاستهلاكي إلا أن إنسان ما بعد الواجب يرى أن "الاستهلاك ليس مشكلة بل يفترض أنه حل يضمن الرفاهية

بالقضاء على الألم وخلق متعة" (روجرزوزنبلات، 2011، صفحة 47) لأن الإنسان يلجأ إلى الاستهلاك كبديل وكحل لمشاكله ، لأن قيم الاستهلاك وحدها ستوفر له المتعة والرفاهية ، وتقضي على البؤس والمعاناة التي يعيشها في هذا العالم ، بل وأن الاستهلاك هو الطريق الذي إذا سار فيه الإنسان دونما توقف سيوصله إلى حلم السعادة المنشود فأى سعادة يقدمها المجتمع الاستهلاكي للإنسان؟

#### 4. إنسان ما بعد الواجب: أنموذج الإنسان الخائف:

إن إنسان ما بعد الواجب يرفض الإكراه والإلزام الممارس ضد الذات البشرية ، إذ يرى أن الخلاص الوحيد للإنسان من حالة البؤس التي سيطرت عليه ، كان بالتخلي عن القيم العليا التي كانت تضيق على الإنسان عيشته وتنكر ذاته ، غير أن الواقع يبين وبصورة واضحة أن ما قدمه عصر ما بعد الواجب قد زاد من شقاء الإنسان ، و وعد السعادة ليس إلا أمرا زائفا وهذا راجع إلى تركيزها على جانب واحد في الإنسان ، ألا وهو السعي لإرضاء حاجاته الاستهلاكية التي من خلالها يشبع رغباته ، وبهذا سيكون سعيدا حتما ، لكن هذا الشيء ضرب من خيال ، فالإنسان كل متكامل وله جوانب عدة لا بد من الالتفاف حولها ، وليس الاهتمام بالجانب المادي السطحي فقط ، وهنا نجد أن لعصر ما بعد الواجب بالغ الأثر في تحطم المجتمعات البشرية ، ويظهر ذلك في جعل الإنسان مجرد كائن استهلاكي غرائزي وحيد محطم العلاقات ، وبعبارة أدق إن إنسان ما بعد الواجب هو أسوأ نموذج إنساني مر على البشرية إنه نموذج للهلح الأعظم والخوف الدائم من كل شيء ومن اللاشيء حتى ، إنه نموذج الإنسان الخائف فالإنسان المعاصر الذي يصوره المجتمع الاستهلاكي في صورة مادية ومن جانب غرائزي وحسب بحاجة كذلك إلى الشعور بالدعم العاطفي من أبناء مجتمعه وأسرته ، لكن الفردانية التي جاءت بها ثقافة ما بعد الواجب جعلت الإنسان يعيش في عزلة

وقوقعة وهمه الوحيد هو أن يحقق رغباته ، وكأن عصر ما بعد الواجب قد قدم للإنسان قيم الاستهلاك في صورة حتمية للسعادة كتعويض وبديل عن القيم الروحية والعلاقات الاجتماعية ، لأن هذا العصر جعل الإنسان وحيدا وغريبا وفي عزلة تامة ، غير أن هذا لا يغير من حقيقة أن الإنسان بالرغم من كل ما وصل إليه لم يتخلص من البؤس ، بل نجد أن الألم يتضاعف عنده " فالاستهلاك ربما يكون شكلا من أشكال الحزن وربما دليل على مجرد السأم ، لكنه استجابة لحقيقة أننا معزولون وغرباء في عالم كنا نطلق فيما مضى عليه بيتنا " (روجرزونبلات، 2011، صفحة 162) فما يظن الإنسان أنه خلاصه هو في الأصل من كان سبب غربته وبؤسه.

وهذه هي النتيجة الحتمية لعصر يتمركز حول استهلاك كل شيء حتى علاقاته مع الآخرين ، ولا نجد أن الأولوية تكون بتقديم علاقة الإنسان بالشيء على علاقاته بالآخر ، حيث "صارت علاقات الناس فيما بينهم أقل تمثيلا وقيمة من علاقات الناس بالأشياء ، وأولوية علاقة الإنسان بالشيء بالمقارنة بعلاقة الإنسان بالإنسان " (لييوفتسكي ج.، 2017، صفحة 60) وفي هذه اللحظة تغرب الإنسان وبانت علاقاته مع الأشياء الجامدة هي محور حياته ، وبهذا نجد أن العلاقات الإنسانية قد تشتت وتفككت بصورة جذرية ، وحتى العلاقات القائمة نجد أنها هشة وقابلة للزوال في أي وقت ، وذلك لأن الإنسان المعاصر لم يعد يثق في أحد ففكرة العلاقات نفسها تشكل له حالة من الإرباك والتوتر فهي حسبه مليئة بالأخطار القاتلة ، فهي تتحدث عن متع العيش المشترك وأهوال التقييد في آن واحد (باومان ، الحب السائل ، 2016، صفحة 31) فقد ارتبطت فكرة العلاقات بالتقييد لأن الذات تشعر أن الآخر سيسلب حريتها ، لذا وجب الحذر ، و يجب أن نتخلص من العمق في العلاقات وهنا نجد أن " العلاقات الإنسانية في المجتمع الاستهلاكي قد فقدت ديمومتها وصار كل شيء قابلا للتخلي عنه والتخلص

منه على غرار الحب والعمل والأسرة والواجب بل وحتى التخلص من الذات نفسها فقد بات لكل فرد القدرة على تصنيع ذاته الخاصة التي يشتهي" ( شرف الدين، 2018، صفحة 36) وبهذا فإنه من بين الانعكاسات والمظاهر السلبية التي جاء بها عصر ما بعد الأخلاق ، هو تحطيم العلاقات وتفكيكها وجعل الإنسان غريبا حتى عن ذاته ، فالذات مجبرة في عصر الأخلاق على تغيير ذاتها ، وإلزامها بالنمط الاستهلاكي السائل وتغريبها حتى لا يتم تهديدها وإقصاؤها ، وهنا يجد الإنسان نفسه قلقا ومتوترا وخائفا من كل شيء ، والخوف بات الميزة الطاغية على عصر ما بعد الواجب ، فالإنسان يخاف على نفسه من الزوال والعزلة ، يخاف من الآخر الذي يرى أنه ضد حريته ، يخاف من الموت والمستقبل ، فالخوف بات هو النغمة الوحيدة إلى يسمعها الإنسان المعاصر، والخوف إشارة على انعدام الأمن ، وذلك لأن الإنسان فقد ثقته بهذا المجتمع المتسارع في التغيير والتجديد أو ما يسميه زيجمونت باومان بعصر السيولة وهذا ما جعل الخوف سائلا يتسلل إلى كل زاوية من حياة الإنسان ، وذلك لأن "الحياة السائلة محاطة بالمخاطر يحياها المرء في حالة من اللابيقين الدائم وأشد هاجس يساور المرء في هذه الحياة هو الخوف من أن تأخذه على حين غرة " (باومان ز، الحياة السائلة، 2016، صفحة 22) وحالة اللابيقين التي كرسها العصر ما بعد الأخلاقي جعلت الخوف عنصرا أساسيا في حياة الإنسان لأن التهديدات كثيرة وتحيط بالفرد من كل جنب " أنا خائف ، إن جماعة الخوف ستكون البديل عن جماعة البؤس " (بيك، 2009، صفحة 105) فالإنسان هنا فقد حتى شعوره بالأسى والحزن والشقاء ، فلم يعد بوسعه التعبير عنها لأنه فقط يشعر بالهلع تجاه كل شيء لذا نجده يتبنى شعار "أنا خائف " للتعبير عن أسوء ما يشعر به .

وهذا الشعور بالهلع والخوف غير المبرر لم يوجد من عدم ، تعيط بل نجد أن المجتمع الاستهلاكي نفسه هو الذي يصنعه ليحكم قبضته على الإنسان ، وبات

يتاجر بمشاعر الناس ومخاوفهم حيث إن هذا المجتمع يشعر الإنسان دائما أنه مهدد وعرضة للخطر ، " فالمتاجرة بالمخاطرة اخذ بالنمو ، و الإلحاح على وجود التهديدات والمخاطر المرتبطة بتقدم الحضارة هو أبعد ما يكون مجرد نقد إنه أيضا عامل نمو اقتصادي من الدرجة الأولى " (بيك، 2009، صفحة 118) فكما سبق أن وضحنا إن المجتمع الاستهلاكي لا يهمله شيء فوق تحقيق أرباحه و ضمان استمراريته ، فهو يقدم حاجات زائفة ويجدها لضمان هذه الاستمرارية وتجاوز ذلك إلى صنع المخاطر أو إيهام الإنسان بحجم المخاطر التي تهدده ، لزرع الخوف في ذاته من أخطار غير واضحة لديه " فالتهديد يمكن أن يحل في أي مكان وعند أي لحظة على شكل كارثة بيئية أو نووية أو إرهابية " (باسكال، 2006، صفحة 30) وهذا ما يثبت منطق الخوف في حياة الإنسان المعاصر فالتهديدات والمخاطر تواجهه من كل صوب ، كما أن ضمان الأمن غير متوفر .

فلا يدري الإنسان أي كارثة ستحل به ، ولا في أي وقت سيواجه الخطر الذي يخشاه في الأصل قبل حدوثه ، أنها حالة نادرة لسيولة مخاوف الإنسان وتزايدها وتجدها في كل لحظة ، فما أن يقضي الإنسان على خوفه من شيء ما حتى يظهر له في الأفق أمر أكثر رعبا فنحن نعيش في عالم تهددنا فيه الأخطار التي صنعناها بأنفسنا ، وهذا ناتج عن مجتمع المخاطر الذي يعيش فيه الإنسان .

## 5. خاتمة:

ونخلص في النهاية إلى أن عصر ما بعد الواجب هو عصر جاء ضد الواجب المتعالى ، ذلك الواجب الذي يقوم على نكران الذات الإنسانية واحتقارها ، لأجل قيم عليا تحطم الإنسان ولا تسمو به ، وقد جاء هذا العصر لإعادة الاعتبار للإنسان الذي جعله الواجب المتعالى عبدا له ما أدى إلى تحول وعد السعادة والرفاهية إلى شقاء ومعاناة ، وهذا ما استدعى ميلاد عصر ما بعد الواجب وانبعث نمط أخلاقي جديد ، يجعل الإنسان معيارا للقيم الأخلاقية وفق ما يحقق متعته وسعادته .

غير أن عصر ما بعد الواجب وبعد أن جاء بوعد السعادة إلا أنه أفرز نموذجا إنسانيا جديدا تغير فيه مفهوم الإنسان وضاعت فيه قدسيته ، وهو نموذج يعرف بإنسان ما بعد الواجب ، أو الإنسان المستهلك الذي يجعل الاستهلاك قيمة تحكم حياته ، فبات يسعى فقط إلى إشباع حاجاته الاستهلاكية في صيغة جديدة للإنسان وهي إنسان المتعة الذي يسعى إلى تحقيق القبول في المجتمع الاستهلاكي ، وإلا لوقى بالرفض والنبد وهذا ما أفرز لنا نموذجا إنسانيا سيئا جدا هو الإنسان الخائف غير الآمن الذي يخاف السقوط ويخاف من الآخر يعيش في عزلة تامة مع شعور دائم بالخطر .

٦. قائمة المراجع

- 1- أدغارموران، (2009) ، النهج ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي
  - 2- باسكال، بروكيز، (2006) ، بؤس الرفاهية: ديانة السوق واعدائها ، مكتبة العبيكان ، الرياض .
  - 3-باومان ، زيجمونت ، (2016) ، الحب السائل : عن هشاشة الروابط الإنسانية ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت .
  - 4- باومان ، زيجمونت ، ( 2016 ) الحياة السائلة ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت .
  - 5- بودريار، جان ، (2008) ، المصطنع والاصطناع ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت.
  - 6- بيك ، أولريش ، (2009) ، مجتمع المخاطرة ، المكتبة الشرقية ، بيروت .
  - 7- روزنبلات ، روجر ، (2011) ، ثقافة الاستهلاك : الاستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة .
  - 8- روس ، جاكين ، (2001) ، الفكر الأخلاقي المعاصر ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت .
  - 9- روس ، جاكين ، ( 2001 ) ، مغامرة الفكر الأوربي: قصة الأفكار الغربية ، كلمة ، أبوظبي .
  - 10- كانط ، إيمانويل ، (2020) ، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق ، منشورات الجمل ، ألمانيا .
  - 11- ليبوفتشكي ، جيل ، (2017) ، أفول الواجب الأخلاقي : الأخلاق غير المؤلمة الأزمنة الديمقراطية الجديدة ، مركز نماء للبحوث والدراسات ، بيروت .
- المقالات:

12-شرف الدين ، سامية ، (2018) ، أبناء المجتمع السائل : كل فرد قادر على تصنيع ذات خاصة ، مجلة الدوحة ، العدد 133 .